

الجزء الثاني من السنة الثانية

١ كانون الثاني * يناير * سنة ١٨٩٠ * الموافق ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٠٧

رأس السنة

١٨٩٠

السلام يا فجر العام الجديد ومرحباً بك يا ايها الصباح السعيد واهلاً بالغزالة التي زرَّ قرنها بنور لعابهِ فارسلته اسنة هزمتَ جيوش الديجور وكسرت جنود ضبابه

هلمّ بنا نستقبل باكورة العام بالتكبير والتهليل ونستجلي من ورائها الخير العريض الطويل فقد تفتق نوار النور عن ستار الديجور وانتشرت بشائر العام التسعين فانحسرت ستائر ادلهمام غشت الدنيا منذ الثلاث والثمانين

ويا مصر لقد مضت سبع سني الجدب واقبلت من بعدها اعوام الرفاه

والخصب وابتلعت البقراتِ العجاف بقراتٌ سمان وستخضر السنبلات اليابسات فيأتيك معها الهناء والامان فلقد تهللت النفوس باقبال السنة الجديدة فصافحتها مصافحة محب لمحبوب ونقطتها بحبات القلوب واحلتها محل منازع الامال وحلتها بسوار من اليمين الى الشمال

فنحن نستنزل من صاحب الفضل العميم ان يهمي علينا من بركاته بعد الطل الوسيم ويوالينا بخيرات تترى تنسينا ما ترك الدابر من سوء الذكرى وان يعزز بقدرته الصمدانية اريكة مولانا وسلطاننا ظل الله على الارض ذي الشوكة الخاقانية ويرعى بعين العناية والاجلال على الدوام سدة سمو الخديوي المعظم والانجال الكرام ويعضد صاحب الدولة رأس الوزراء رياض الفضل والمجد والعلا ويسبل على الاوطان العزيزة ستار حلمه ويقيها من بوائق الايام مما هو مقدر في غيبه وعلمه ٠ بمن الله وكرمه

في كل وادٍ أثر من ثعلبة

ملاعبنا

— ذكرتَ في بعض اعداد سنتك الاولى اموراً يجب ادخالها في فنّ الروايات اصلاحاً لهُ وترقية لشأنهِ وتعزيزاً لاركانهِ في بلادنا ولجعله في لغتنا فرعاً من الفروع الادبية مستقلاً بنفسهِ ولقد احسنت فيما ذكرت اذ ذاك ولكن فاتك امر هو من اهمّ ما يتوقف عليهِ نجاح العمل ٠ فانت لا تجهل ان فنّ التمثيل لم يصل في اوروبا الى الدرجة التي نراهُ فيها الآن

من الاتقان والكمال الاَّ بعد ان اخذت الحكومات بناصرهِ وعضدتهُ بالمال والمساعدات الادبية من كل نوع فلو حذت حكوماتنا حذو حكومات اوروبا واقتفت اثرها في انشاء مرسح لتعليم الممثلين ومساعدة اصحاب الجوقات او اقامة ملعب خاص بها تنفق عليهِ من صندوقها لرأينا هذا الفن الجميل مزدهيًا بابهى حللهِ يرفل في رداء النجاح والارتقاء ولارتقى بارتقائهِ فني الموسيقى والانشاد وكثر طلاَّب الشعر والانشاء وعادت الى سوق الادب العربي الحركة التي افل نجمها وتولى شمسها الغياب

ولست بمورد لك في هذا الباب ما قد ذكرتهُ وخضت فيهِ مليًا من وجوه التحسين اللازمة لكنني ذكرت لك ما ذكرت توصلاً الى انتقاد ما شاع وذاع وطنطن بهِ لسان البرق فضلاً عن طنطنة الجرائد من ان الحكومة السنية عقدت مع "المسيو" ميناديه اتفاقًا يبيح لهُ التمثيل في ملعب الاوبرا الخديوي (بالقاهرة) مدة فصل الشتاء وانها تعطيه مبلغ ١٢٠٠ جنيه مصريًا مساعدة لهُ على القيام بما يلزم من المصاريف لجمع الممثلين البارعين الحائزين قصب السبق في مضمار التمثيل. وحجة الحكومة في ذلك انها تمسك في عاصمة مصر السيَّاح الذين ياتون لزيارة البلاد والتفرج على آثار المجد السابق ومعالم العظمة الفائتة. وهي حجة اوهى من خيط العنكبوت اذ كيف يصح ان يؤخر السائح ساعة رحيله رغبة في مشاهدة رواية حضرها اكثر من مرة فكلنا نعلم ان السياح لا يصلون مصر الاَّ بعد ان يكونوا قد ساحوا في اوروبا وزاروا عواصمها وحضروا روايات "فرنسا وايتاليا" ورأوا ممثليها الذين يأتي بهم اصحاب الجوقات الافرنجية فمن العبث اذن ان ترجوا الحكومة

تحقيق هذه الامنية بتلك الواسطة

فاذا كانت ترغب حقيقةً نفع البلاد بهذا الفن المعدود في مقدمة الفنون الجميلة وآداب العصر فلتسعى في احيائهِ بلغتنا العربية التي لا ينكر احتياجها اليهِ الاَّ كل مكابر لا يقول بالحق

ووجه احتياج البلاد العربية على وجه العموم بيّن لا حاجة بي الى تفصيلهِ فان ارباح البلد قائمة بما يحصل فيها من الحركة وبما يبذلهُ اغنياؤها من مالهم المكنوز في سبيل ملذاتهم ومسراتهم. ولما كانت الملاعب ملجأً المثرين الذين يسعون وراء ما يقطعون بهِ الوقت كان من الواجب على حرّاس الرعية ووكلاء امرها ان يستجلبوا لها درهم الاغنياء والذين يقدرون ويريدون ان يروحوا انفسهم وينزهوا ابصارهم فاذا كانت البلاد نفسها عارية من مثل هذه المجامع اضطرّ الناس للالتجاء الى ما يقيمهُ الاجنبي فيها من معدَّات اللهو والطرب فيستنزف المال ويجريه على ابناء جلدتهِ الذين يستخدمهم في عملهِ ومتى قضي الوطر عاد الى بلادهِ بالدرهم والدينار وتكون البلاد التي اثرى فيها لم ترزق منهُ شيئًا. بخلاف ما اذا كان الامر بالعكس وكان للبلاد مراسح وملاعب وطنية فان الكسب ينحصر في ابنائها والدرهم يصرف في اسواقها فيبقى المال فيها لا يخرج من كف وطني الاَّ الى صندوق وطني هذا فضلاً عما يكتسبهُ المؤلف والطابع والناسخ والمعلم والملقن والخياط وسائر من تحتاج الملاعب اليهم

وبقي الامر الذي نظرت اليهِ الحكومة السنية وهو دعوة السياح الى اطالة مكثهم في البلاد حبًا بحضور التمثيل فهذا لا يتم لها الاَّ اذا كانت

الروايات غريبة لم ترَها اعينهم فلو كان في مدن مصر مراسح عربية يمثل فيها ممثلون مشهود لهم بحسن العمل والاهلية لقصدها السياح عدا عن نزالة الاجانب الساكنين في بلادنا الذين لو أُتقن فن التمثيل العربي وأُلحقت بهِ موسيقى عربية منظمة لفضلوا مراسحنا على ملاعبهم وكان اقبالهم علينا فيما يختص بذلك كاقبالنا عليهم الان

هذا من وجه المنفعة المادية وبقيت الفائدة الادبية التي لا يفي بوصفها قلم ولا لسان . ولقد تكلفت في سنتك الاولى بيان شيء منها فاصبت اذ قلت ان الروايات مرآة الماضي ومثال التمدن الحاضر ودليل ارتقاء الامم وتقدمها او صورة انحطاطها وتقهقرها . وانها الواسطة الوحيدة لتقويم الاخلاق واصلاح العوائد وبث الافكار العالية الشريفة والحث على الصلاح والفضيلة ونشر راية الحرية والمساواة فان تمثيل الجهل والظلم والمكر والرياء والخشونة والخون واظهار هذه الصفات في قالب التنديد والتقريف لرادع يردع الناس عنها ويضطرهم الى سلوك السبيل القويم

ولو شئت ان افيض في هذا الموضوع للزمني لهُ وقت طويل فلست بزائدك على ما سمعت سوى الخاتمة التي بسطت لها كل هذا التمهيد فاسمع :

لقد كان من الواجب على الحكومة ان ترى في اصلاح شأْن التمثيل العربي قبل ان تساعد اصحاب الملاعب الاوروبية وهذا امر يسهل عليها جدًا وعلى الاخص الان حيث قد نقض الاتفاق الذي كان بينها وبين ميناديه فتوفرٌ لديها مبلغ الالفين وثلثمائة جنيه التي كانت عازمة على اتحافهِ بهِ فعليها اذن ان تستخدم هذا المبلغ الذي كانت قد سمحت بهِ عن رضى

وطيبة خاطر في ما هو اوجب عليها للوطن ولغتهِ فتنشيء لجنة من ذوي الادب العربي وتكل اليهم امر انتخاب جوقة من الذين سبق لهم التمثيل وحازوا استحسان العموم فترى اللجنة في امر تحسين علومهم في هذا الفن وتنتقي الروايات اللائقة للتمثيل وتسعى جهدها في كل ما من شأنهِ ان يعود بالخير على هذا العمل وهكذا يتقدم الفن ولا يلبث ان يرتقي رويدًا رويدًا الى الدرجة التي قد حازها في اوروبا ولا يلبث الوطن ان يجني منهُ فرائد الفوائد والمنافع التي يتمتع بها سوانا ونحن احق بها منهم

هذه بعض ملاحظاتي ولولا ضيق المقام وقصر الوقت لسردت لك اكثر مما ذكرت ولكن في ما اوردت كفاءة اذا صادف اذنًا سامعة واعية وعسى ما قلتهُ لا يذهب ادراج الرياح

التاريخ

٩٠١ – ثارت في هذا العام حروب اهلية بين عظماء فرنسا فلم يقوَ كارلوس الملقب بالبسيط ملك فرنسا وقتئذٍ على اخمادها لما كان معروفًا بهِ من سقوط الهمة وضعف العزيمة وعدم اعتراك الامور

واغار النورمانديون على بودوين حاكم الفلاندر فرد غاراتهم وفلَّ جيوشهم وردهم بعد مواقع كثيرة على اعقابهم خاسرين

واسس الباريسيون في هذه السنة مدارس عمومية لتعليم قواعد اللغة كالصرف والنحو ولتدريس الانشاء وعلم المنطق

ومات في اواسط هذا العام الفريد الكبير ملك انكلترا وخلفهُ ادوار الملقب بالقديم وكانت بينهُ وبين سكان الدانمرك مواقع شديدة كان لهُ فيها

نصر وفوز فردهم عن حدود انكلترا التي كانوا يهاجمونها من حين الى حين .
وهذا الملك هو الذي الحق بلاد دي غال ومقاطعات بريطانيا الجنوبية باملاك انكلترا

وبما ان تاريخ هذه السنة مقتصر على ذكر الحوادث التي اوردتها فقط رأيت ان اذكر لك بعض اعمال العرب مما جاء قبل العهد الذي بدأت فيهِ بسرد الوقائع التاريخية

في سنة ٦٤٠ احرق العرب بعد افتتاحهم مصر مكتبة الاسكندرية وكانت من اعظم مكاتب الدنيا واهمها وقد قال بعضهم ان عمرو بن العاص هو الذي امر باحراقها . وكان فيها من كتب العلم والادب والصناعة ما لا يكاد يحصى بحيث زعم بعض المؤرخين ان حمامات الاسكندرية استغنت مدة ستة اشهر بكتب تلك المكتبة عن الحطب فما كانت توقد الاّ منها . وعندي ان ذلك غلو عظيم . وفي السنة التالية اتمّ عمرو بن العاص قائد الجيوش العربية حفر الترعة التي كانت تصل بين النيل والبحر الاحمر . وفي سنة ٦٧١ اتصلت فتوحات العرب باسيا الصغرى فملكوا بحد الحسام اهم المقاطعات ورست عمارتهم في ازمير . وفي سنة ٦٩٦ اتصلت فتوحاتهم الى قلب افريقيا فانهم بعد ان اخضعوا ما بين النهرين وسوريا والعجم ومصر اغاروا على افريقيا فدخلوها الى الاوقيانوس الاتلانتيكي . اما مقر الحكم فكان في دمشق وكان الخلفاء في ذلك العهد من بني اميّة . ولقد زعم البعض ان العرب علموا اهل بخارى في سنة ٧٠٤ كيفية اصطناع الورق من القطن والاصحّ غير ذلك فقد كان في سمرقند عاصمة بخارى منذ سنة ٦٧٣ معمل كبير لهذه الصناعة

اما دخول العرب اسبانيا وافتتاحهم اياها فقد كان في سنة ٧١٥ بقيادة طارق بن زياد وهو الذي بني قلعة جبل طارق ودعاها باسمهِ

وفي سنة ٧٥٤ قام المنصور وهو ثاني الخلفاء العباسيين ضد الخلفاء من بني امية فاباده الاَّ عبد الرحمن فانهُ فرَّ الى اسبانيا حيث نادى بهِ الاندلسيون خليفة عليهم فاختار كردوفان لان تكون كرسي الخلافة واخضع لامرهِ حكام برشلونه وساراغوس على انهُ كان مضطراً في مدة كل ملكه على التقريب ان يقمع الثورات التي كان الخلفاء العباسيون يثيرونها عليهِ ولكنهُ كان مع ذلك لا يحكم الاَّ بالعدل ولا يقضي بغير الانصاف والحق فاستحق بذلك لقب العادل الذي أُطلق عليهِ . وقضى هذا الخليفة ايام خلافتهِ بالمجد والعز واحب العلوم والفنون واقام المدارس والمكاتب وشيد المباني الجميلة وساوى بين الرعية فازهرت البلاد في ايامه وتقدمت

وفي سنة ٧٩٦ اسس العرب مدينة تونس وفي السنة عينها سخط الرشيد على البرامكة فاوقع بهم واباده والبرامكة هم وزراء الرشيد وكانوا اكرم اهل زمانهم واسخاهم كفًّا حتي ان الكرم ينسب اليهم فيقال كرم برمكي . قال بعضهم ان الرشيد سخط عليهم لاستبدادهم بالملك وقال اخرون انهُ فعل ما فعل بسعاية بعض المقربين اليهِ من حساد البرامكة ليخلو لهم الجو . ومهما كان السبب فان الرشيد قد ندم على قتل البرامكة ندمًا غير قليل

وفي سنة ٨٠٠ قسم الخليفة هارون الرشيد ملكه بين اولاده الثلاثة وهم الامين والمأمون والمعتصم

وفي سنة ٨٠١ ارسل الرشيد الى شارلمان امبراطور فرنسا (وكان بينهما

مودّة عظيمة) هدايا كثيرة ثمينة منها فيل عظيم وكان اول فيل رآه الفرنسويون . وخيمة عظيمة من الصوف الرفيع مقسمة إلى منازل كأنها من قصور الملوك . وارسل اليهِ ساعتين الواحدة لقياس الزمن والاخرى دقّاقة لمعرفة الاوقات فعدَّ الفرنسويون ذلك من بدائع الصناعة وغرائب الاختراع وفي هذا دليل على ما كان للعرب من التقدم في المعارف والفنون وبرهان ساطع وحجة دامغة على ان ظلمات الجهل كانت ضاربة على الغرب سرادق التأخر بينما كان الشرق مزدهيًا بحلل العلوم يرفل برداء التقدم والنجاح .

وفي هذا القدر من التاريخ كفاية وموعدنا بتمام الحديث اجتماع اخر .

﴿اشعار ولطائف﴾

كتبت ولادة بنت المستكفي بالله الى الوزير ابن زيدون

ولما سعى الواشون بالهجر بيننا · وليس لهم عندي وعندك من ثارِ
وشنّوا على اسماعنا كل غارة · وقلَّ حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي · ومن نفسي بالسيف والسيل والنارِ

وولادة هذه كانت من اشد بنات عصرها تعلقًا بالشعر واسبقهم بهِ في مضمار الانشاد وكان لها بعد نكبة ابيها مجلس تجتمع اليهِ الشعراء والادباء من كل صوب فيتطارحون الاشعار ويعرضون المنظومات ويجولون في مضمار الجدال والمناظرة وكانت هي رئيسة المجلس يرجع في فصل الخطاب اليها ويعتمد في الحكم عليها وكانت مغنية مجيدة وذات وجهٍ جميل وادب غض ونظم جيد فكانت تجلس في صدر النادي بين لوحين خطّت على الاول هذا البيت

انا والله اصلح للمعـــالي وامشي مشيتي وانيه تيها

وتقشت على صفحات الثاني

أُمكّن عاشقي من صحن خدّي وامنح قبلتي من يشتهيها

قيل ومازالت ولادة منسوبة الى العفة حتى تعشقها الوزير ابن زيدون فهام بها وهامت بهِ هياماً شديداً فكتبت اليهِ لما اشتد ولوعها بهِ تقول:

ترقب اذا جنّ الظلام زيارتي فاني رأيت الليل اكتم للسرِّ

فبي منك ما لوكان بالبدر لم ينرِ وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يسرِ

ولهُ فيها ولها فيهِ القصائد الرنّانة والمعاني الشعرية البديعة التي لم يسبقا اليها · ومن بعض قصائد ابن زيدون فيها قصيدته النونية التي سارت بذكرها الركبان ومنها

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينــا

بنّا وبنتم فما ابتلت جوانحنــا شوقًا اليكم ولا جفّت ماقينــا

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا بان نغصّ فقال الدهر آمينا

ليسقَ عهدكمُ عهد السرور فما كنتم لارواحنا الاَّ رياحينــا

لم نعتقد بعدكم الاّ الوفاء لكم رأيًا ولم نتقلد غيرهُ دينـــا

ياساري البرق غادِ القصر فاسق بهِ من لو على البعدِ حيي كان يحيينا

ياروضةً طال ما أَجنت لواحظنا وردًا جلاهُ الصبا غضًا ونسرينا

لسنا نسميكِ اجلالاً وتكرمة وقدرك المعتلي عن ذلك يغنينا

دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحرُّ من دان إنصافًا كما دينا

أولي وفاء وان لم تبذلي صلةً فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا

وفي الجواب قناع لو شفعتِ بهِ بيض الايادي التي ما زلتِ تولينا
عليكِ مني سلام الله ما بقيت صبابة منكِ نخفيها فتُخفينا

اما القصيدة فطويلة وكلها غرر معانٍ مبتكرات اجتزأت بهذه الابيات في الدلالة عليها. وهجرتهُ مرة فكتب اليها يستعطفها بقصيدة غراء منها هذه الابيات

اني ذكرتكِ بالزهرآء مشتاقا والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلالٌ في اصائلهِ كأنّما رقَّ لي فاعتلّ اشفاقا
والروض عن مائهِ الفضيّ مبتسمٌ كما حللتِ عن اللبان اطواقا
يوم كايام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سرّاقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا اليكِ لم يعدُ عنها الصدر ان ضاقا
لاسكّن الله قلبًا عند ذكركمُ فلم يطر بجناح الشوق خفّاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين صفا وافاكم بفتى اضناهُ ما لاقى
كان التجازي بمحض الودّ من زمنٍ ميدان انسٍ جرينا فيهِ اطلاقا
فالان احمد ما كنا لعهدكم سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وقضي عليهما بالفراق فكتب اليها يقول .

ودّع الصبر محبًّا ودعكْ ذائعًا من سرهِ ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطى اذ شيعك
اخت بدر التم حسنًا وبها اطلع الله زمانًا اطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم بت اشكو قصر الليل معك

وكان من امرهما بعد هذا العشق الذي خلعا فيهِ العذار انهما تقاطعا

وتجافيا وانشدا بعد بيت الشوق قصيد الهجاء وكانت ولادة اكثر من ابن زيدون تطاولاً في الكلام فقالت في سبهِ مقاطيع كثيرة يحمر لها وجه القارئ خجلاً وحياء

واتفق بعد ذلك ان الوزير اباعامر بن عبدوس الملقب بابن الفار عاق ولادة وهام بها هياماً شديداً فارسل اليها امرأة تستميلها اليهِ وتذكرها محاسنه ومناقبه وتشرح حالة افتتانهِ بها وغرامهِ وبلغ ابن زيدون الخبر فالف رسالته المعروفة بالرسالة الزيدونية وجعلها عن لسان ولادة وارسلها الى ابن الفار وكلها ذم وتقريع وتهكم فامسك ابن عبدوس عن التعرض لها الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية . والرسالة بالغة في حسن الانشاء حد الاعجاز وقد علق عليها الامام جمال الدين محمد المعروف بابن نباتة المصري المشهور شروحاً ضافية الذيول

وكان ابن زيدون قد اتهم ولادة بابن عبدوس فقال فيهما هذين البيتين

عيرتمونا بان قد صار يخلفنا في من نحب وما في ذاك من عارِ
زاد شهي اصبنا من اطايبهِ بعضاً وبعض صفحنا عنهُ للفار

هذا ما روي عنهما ولم يكن من غرضي شرح حديثهما ولكن جاء ذلك لايراد شعرهما فانظر الى الشعر العربي كيف كان تكبّ عليهِ الملوك والوزراء وتنافس فيهِ ربات الجمال والبهاء . . .

كنت على الماء فسمعت الناس يقولون ها قد وردت فقمت مع من قام للنظر فاذا بفتاة كالبدر وجهاً وغصن البان قامتها لم ترَ عيني اجمل منها ولا اتم حسناً تقل جرة فلما رأت تجمع الناس وتصوّب اللحاظ اسدلت على

وجهها البدري قناعًا حجب عن نظري بهاء ذلك المحيا الجميل فما تمالكت من نفسي أن تقدمت اليها وقلت لها

— بعينك الا ازلت عن البدر هذا الغمام . فقالت

— اليك عني لا يعلقك الحب . فقلت

— وما الحب . قالت

— جلّ والله عن ان يخفى وخفي عن ان يرى فهو النار في احجارها اذا قدحته ورى واذا تركته توارى ثم ولت وقد انشدت

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدًا لقلبك يومًا اتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا بعضهُ انت قادر عليهِ ولا عن كله انت صابرُ

وخرج حدث مع ابيهِ للنزهة فمرا بجانب مستشفى العميان فقال الغلام ما هذا البيت يا ابي . قال — هذا مستشفى العميان فاجاب الولد من فوره — ولماذا اذن لهُ نوافذ

ارسل بعض الاطباء خادمهُ بعلبة حبوب الى احد مرضاهُ وست دجاجات سمان الى صديق لهُ فغلط الخادم واخذ الدواء للصديق والدجاج للمريض فتأمل دهشة العليل واستغرابه عندما قرأ امر الطبيب بان يبلع اثنتين كل نصف ساعة

خطرات افكار

الحب كالصداقة لا بد معهُ من الاحترام والاعتبار . فالحب بلا احترام لا يكون الاَّ ضعيف البناء قصير البقاء

لا يستغرب امرءٌ من ظنهُ بنفسهِ غير ما هو

فمن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى الناس منهُ ما لا يرى

النفس الابية تعدل في حكمها حتى على الذين يبخسونها حقها اما القلب الدنيّ فيظلم الذين ينصفونهُ

من الناس من اذا ساجلتهم شتموك فاذا بليت باحد على هذه الشاكلة فاحكم عليهِ بالجهل والادعاء ودعهُ

الحسد يمزق قلب صاحبهِ

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكلهُ

متى صار اللئيم في غنى عمن كان في حاجة اليهم يسارع الى اختلاق العيوب ورميهم بها

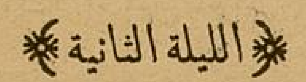
لكل سبب مسبب فمتى زال المسبب زال السبب كما ان لكل نعمة مستحدثة يعطيها الكبير للصغير غاية فمتى زالت الغاية سقطت النعمة

المرأة من اغرب مخلوقات الله فانها تسكت اذا كان الحق لها ومتى كان الحق عليها فمن العبث ان تسعى في تسكينها وارضائها

هذا وقد كان بودي ان اذكر لك شيئاً عن آداب المناظرة وحقوق المساجلة وعن "الوطن والوطني" ليعلم المكابرون الذين يسعون في تفريق الكلمة انّا لهم بالمرصاد ولكن حال الجريض دون القريض ومنعني قصر الوقت من اتمام هذا الخاطر فانا اتركه الى الآتي والايام بيننا ولربما اخذ عليَّ بعضهم حدة في الكلام فآخذني با لانتقاد على انني ابرىء نفسي من كل غاية غير الخدمة العامة ونفع الوطن فمن رضي عني فليأخذ بيدي ومن لم يرضهِ عملي فبيني وبينهُ ميدان نزال سلاحه الاقلام والسلام

مراسلات

ابواب المجلة مفتوحة لرسائل كتابنا الادباء وصفحاتها معدة لنشر نفثات اقلام شباننا الاذكياء ولكننا ننشر فيها ما يرد الينا كما يأتينا تاركين مسئوليته من كل وجهٍ على صاحبه غير متحملين تبعة شيء من ذلك



ليالي العصر في مصر

﴿ الليلة الثانية ﴾

قال الناقد ابن البصير

دعاني ذو حسبٍ ونسب · الى مجلس علمٍ وادب · فلبيت الدعوة على قصد ان ارتشف لبان المعارف· واجتني من طيب المنادمة ثمار اللطائف. وكان الاجتماع في قاعةٍ حوت من اثار الصناعة ما لا يحيط بوصفهِ لسان ·ومن الكتب العلمية ما لا يُعرف ببيان وجمعت من الجنسين العدد الكثير والجمّ الغفير وكان في صدر المجلس شيخ جليل القدر عالي المكانة لهُ في قلوب الحاضرين مهابة واكرام يُرجع اليهِ في فصل كل مقال ويُعول عليهِ في الجواب على كل سؤال وكان عن يمينهِ فتىً معتدل القامة جميل الوجه طلق المحيا حادّ النظر وعن يساره فتاة على وجهها اثار النباهة والذكاء ذات جبين وضّاح وشعر حالك السواد وعينين سوداوين وثغر كأنهُ خاتم من عقيق يضمُّ اسنانًا كفرائد اللوءلوء

وزندين لو لم يمسكا في دمالج * لسالا من الأكمام سيل الجداول

فجلستُ في احدى زوايا القاعة استرق النظر ذلك المقام الرفيع وفي قلبي خفوق واضطراب اسأل النفس عن اسبابهما ولا القى منها جوابًا

ولما اكتمل عدد المدعوين التفت الشيخ نحو الفتى وقال هيا يا نبيه واسمعنا من بالغة اقوالك حكماً تسكر ارباب العقول بلا مدام واهدنا من الفاظ حديثك درراً تبدد غياهب الظلام ثم حوّل وجهه نحو الفتاة وقال . وانتِ يا فتنة افتني الالباب بسحر بيانك واكشفي عن محيا الحقيقة ستار الوهم بساطع دليلك ولامع برهانك فمجلسنا مجلس مناظرة وجدال ومقامنا مقام حرب ونزال وموضوع البحث «الحب» وآله وما يقوله الناس في وصفهِ ومآلهِ وما لهُ من القوة والسلطة وما ينتج عنهُ من الخير والشر فخوضا عباب هذا المسلك عساكما تتوصلان الى اظهار حقيقة جهلناها فيكون لنا بها هدًى او تعثران على بعض كنوز خفيت فلا يذهب تعبكما سدًى

فبرز الفتى والفتاة في ذلك الميدان كأنهما فرسا رهان وافتتح نبيه الحديث وقال : ما قولك يا فتنة في الحب

— انهُ افضل ما وضعهُ الله من روابط الوجود واطيب ما ذاقهُ في الحياة كل موجود

— بل هو الموت الزؤام سفاك دماء اهل الغرام ولا لوم عليكِ فيما تدعين لانك ترين نفسكِ محاطة بالسعادة والنعيم اذ انزلكِ الرجل منزلة الالهة فاتخذتهِ عبدًا وارسلتِ لهُ من عينيكِ سهامًا تشق القلوب قبل الصدور فبات يتقلب على نار الجوى وهي نارٌ احرّ من نار الجحيم

كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

فسررتِ لان الحب قد بلغ بهِ اقصى درجاتهِ وبالمؤثرات الحب وحالاتهِ وطبتِ نفسًا عندما هجر الرقاد ولم يبالِ بالرقباء والارصاد يرعى نجوم الليل ويسكب الدمع كالسيل وقررتِ عينًا اذ علمتِ بانكِ اصبحت منتهى املهِ ورجائهِ ومطلع شمس هنائهِ ولا ترى عينهُ دونكِ اثرًا ولا يود ان يسمع لغيركِ خبرًا فاذا هب في الصبح نسيم الصبا تصوره حاملاً منكِ رسائل الاشواق فيقابلهُ بنفس مناجية طيف من تهوى ثم يعيده اليك رسولاً شارحًا حالة العشاق فسكرتِ بخمرة الكبرياء لانكِ ملكتِ قلبهُ وتهتِ عجبًا ودلالاً عندما سلبتِ عقلهُ ولبهُ وانى لهُ بعد ذلك طيب الحياة التي تدعينها ..

— نعم نحن الاهات الحسن والجمال وربات التيه والدلال فقد اودع الله فينا سرًّا عجيبًا تعجز الفلاسفة عن حلّ رموزه وتخضع الملوك لقدرتهِ ونفوذه الا وهو جاذب الحب فينا ينحصر وعنا ينبعث والينا المرجع والمآل وباصواتنا تغرد الطيور في الغدو والآصال .

نعم نوجه نحو قلوب الرجال سهام الحب لمعرفتنا بانها اذا حلّت في القلب الطاهر اضرمت فيهِ نار الجد والنشاط فكانت مصلحة لاعمالهِ كافلة لحسن مآلهِ منبهة اياه الى واجب الاصلاح ولزوم السعي الى النجاح

— عجبًا كيف يكون ذلك وقد اتفقت ايمة العلماء والشعراء على ان الحب هو الظالم الفاتك والغادر القاتل فقد قال امرءو القيس المشهور

اغرّكِ مني ان حبكِ قاتلي * وانكِ مهما تأمري القلب يفعل

ففي هذا دليل واضح على ان القتل من افعال الحب

وقول الفارض اشهر من ان يذكر

وعش خاليًا فالحب راحتهُ عنًى * فاولهُ سقمٌ واخرهُ قتلُ

فاي اصلاح ترجين ابعد السقم والموت نجاح وفلاح

وقال ابن معتوق

فحبكم لتحبوهِ فهام وما * يدري محبته تصحيف محنتهِ

فبئس المحبة التي هي محنة في الاول والاخر والباطن والظاهر واني اكتفي بما ذكرتهُ دلالةً على ما لم اذكرهُ فان امثال ذلك مشهورة تكاد ان لا تحصى

— لا انكر وجوب تضحية النفس والموت على مذابح الحب للحصول على سعادتهِ ونعيمهِ فان من طلب العلى سهر الليالي وقد فاتك ان ايمة العلماء والشعراء الذين استشهدت بقولهم قد ذاقوا السعادة المقصودة في تلك التضحية ونالوا النعيم المطلوب في ذلك الموت فاسمع ما قالهُ الفارض في هذا المعنى وهو اول من نشر في مواكب العشاق اعلامه وجرّد في الحث على الموت في سبيل الحب اقلامه:

فان شئت ان تحيي سعيدًا فمت بهِ * شهيدًا والاّ فالغرام لهُ اهلُ

وما قالهُ ابن معتوق

وحقكم ان رضيتم في ضنى جسدي * بحبكم لوجودي في تفانيه

وكثيرون هم الذين ذاقوا لذة الحب وسكروا بخمرتهِ فماتوا شهداء الغرام وقتلى لوعتهِ

— وهل تعدين سعادةً الموت باسباب الغرام والانتحار بعواقب الهيام فان كان هذا ما ترجين وذلك ما تتمنين فعلى الدنيا السلام.

— شتّان بين الموت على هياكل الحب حيث السعادة والراحة وبين الانتحار خارجًا عنها

حيث العناء والشقاء فان العقل والمعرفة والنور والفضيلة والعفة والطهارة وعزة النفس والمروءة والشهامة والشجاعة والشرف والنخوة والرقة واللطف وكرم الاخلاق وكل العواطف الشريفة ادلاء امناء يهدون القلوب الطاهرة النقية الى السبيل القويم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اما الجهل والخسة والدناءة والمكر والخداع والغش وكامل الاميال الدنيئة فقوادٌ عميٌ يضلون اتباعهم عن الصراط المستقيم فالفئة الاولى اساتذة حكماء وفلاسفة عقلاء يقدمون الحب كل اجلال واحترام وتعظيم ووقار لعلمهم بانهُ نعم الحكيم المهذب والمعلم المؤدب القادر على كل شيء فيصبرون عند الحاجة ولا يرمون بانفسهم الى الهلاك الذميم فهم لا يخونون له عهدًا ولا ينكثون لهُ وعدًا فيحمل النسيم اللطيف من افواههم كلمة «احب» التي يلفظونها بصوت منخفض ويودعها اذن المحبوب فيتلقاها باسم الثغر ويحلهم في قلبهِ المحل الرفيع قيامًا بما رسمهُ قانون المحبة العام وناموس اهل الغرام فان عاشوا فسعداء وان ماتوا فشهداء . والفئة الثانية تلامذة جهلاء وادعياء حمقاء يجعلون الحب العوبة بين ايديهم فاذا مرَّ بهم اشتعل للحال راسهم بنار الاشتياق وصاحوا لجهلهم باعلى اصواتهم «احبينا» فلِمَ لا يلتفت الينا بعين الرحمة والاشفاق . اما الحب فيعرض عنهم احتقارًا لهم وازدراء بهم لعلمهِ بانهم ليسوا اهلاً له ولا لوم عليهِ فيما يفعل فهو ارفع من ان يحل في قلوب الذين يحتقرونهُ اولئك الذين ختم الله على قلوبهم فهم لخستهم يلقون بانحطاطهم جزاء ماجنت ايديهم ويذوقون العذاب الاليم ويقضي الله امرًا كان مفعولا

فاطرق الفتى الى الارض لا يبدي جوابًا

وعند ذلك انتصب الشيخ الجليل وقال بلسان ابن عباد

قالوا كبرتَ عن الصبا ... وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجالهِ ... واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرتُ وانما ... تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفيَّ م ... انفاس الشباب كما هيه
ويميل بي نحو الصبا ... قلبٌ رقيق الحاشيه
فيهِ من الطرب القديم م ... بقيـة في الزاويه

ان قلبي يحنُّ الى تلك الايام الغراء حنين الظمأن للماء ايام كان درع الصدر رحيبا وغصن الشباب رطيبا ايام كان يسوغ لي ان اقول

وليس مشيباً ما ترون بعارضي فلا تعتبوني ان اهيم واطربا
وما هو الا نور ثغر لثمتهُ تعلق في اطراف شعري فالهبا

ايام كنت قادراً على النطق بعبارات الهيام والفاظ اهل المرام ولكن انى لي الوصول لذلك الان وقد احدودب ظهري وعقد لساني ولا سيما والموضوع غزير المادة صعب المسالك عظيم الفائدة لا بد فيهِ من امعان النظر والتبصر الوقت الطويل فلا يسوغ لي فيهِ الاعتماد على معرفتي فقط خشية ان تزل بي القدم فلا ينفع بعد ذلك الندم فاسمحوا لي اذن بتأجيل فصل الخطاب الى جلسة اخرى ريثما اتمكن من مطالعة ما دوّن بشانهِ في كتب العلماء والفلاسفة وما قرروهُ فيهِ وسطروهُ ونظموهُ ونثروه فاعود اليكم والاكف مملوءة بالحجج الدامغة والادلة القاطعة على اني اودّ قبل انفضاض هذه الجلسة ان اذكر لكم شيئاً مما قالهُ في الحب بعض علماء وفلاسفة الاجانب في عصرنا عصر العجائب والغرائب عسى تنفع الذكرى .

قال بعضهم : ان الحب حياة الوجود والوجود بدونهِ عدم

وقال اخر : انهُ الرغبة في الخلود والبقاء والجهاد ضد العدم والفناء

وقال غيره : انهُ قويٌ كالحياة خلافاً لما قالهُ سليمان الحكيم بانهُ قويٌ كالموت

وقال احد الكتاب : انهُ اله الصلح والخصام

وقال هيسيود : انهُ مهندس الكون

وقال الفرد موسيه الشاعر المجيد : نحن لا قيمة لنا اذا لم نحب

وقال فيكتور هوكو الشهير : سلم نفسك الى الحب فانهُ الحياة

وقال جول لرمينا : ان الحب هو الحاسة السادسة التي تخضع لها الحواس الخمسة خضوعاً تاماً

وقال بلزاك المشهور : انهُ كل ما وصفهُ العشاق والشعراء والكتبة

فموعدنا بالشرح الوافي ليلة تالية ان شاء الله

فلما انتهى الشيخ من الكلام فضت الجلسة وتفرق المدعوون وكنت في جملة من خرج موطناً النفس على العودة الى هذا النادي ومردداً عبارات الثناء والشكر لوجوده في مدينة الاسكندرية الامر الذي لم اكن اتوقعه لعلمي بان النوادي الادبية لا وجود لها فيها ولا اعلم ما الذي يمنع من ذلك في بلدة مشهورة بالتمدن جامعة لكثير من الشبان الادباء

الذين هم على جانب عظيم من الذكاء والمعرفة . ولطالما حركت الجرائد اولي الهمم ولكن ذهب كلامها ادراج الرياح . فاذا حكم علينا بان نيأس من الوصول الى هذه الغاية لم يبقَ لنا الاَّ تعليق الامل بانعقاد مثل هذه الاجتماعات في البيوت والمنازل حيث يجتمع الجنسان لا لهذا القصد بل لقتل الوقت اما بسرد الاخبار التي لا طائل تحتها ولا فائدة منها مما يتعلق بالخدم واعمالهم او بالملبس واختلاف ازيائهِ وكثرة مصاريفهِ او بلعب الورق وغير ذلك من الالعاب التي لا ننكر فائدتها في بعض الساعات اذا كان المقصود منها التسلية وترويح النفس من اتعاب النهار غير اننا لا نجهل ايضاً عظم ضررها اذا اتخذها البعض (كما هو جارٍ في بعض البيوت) ديدناً لهم يحيون بها الليالي الطويلة فتمر بهم الساعات وهم لاهون لا يشعرون ثم يطلبون النوم وقد اخذ منهم التعب كل مأخذ واضناهم السهر فيستولي عليهم النعاس ويقضون ليلهم والافكار تقلقهم والاحلام تزعجهم ... وحبذا لو قسمت ساعات الاجتماعات العائلية الى اوقات يعين منها قسم للمباحث الحكمية وقراءة الكتب الادبية والمجلات الفكاهية تشحيذاً للاذهان وتنويراً للابصار وقسم اخر للالعاب ترويضاً للعقل وتسلية للافكار .

وانا نوجه خطابنا الى ذوي الهمم ونحثهم على السعي والقيام بهذا المشروع ونحن على يقين من انهُ اذا بدأت بعض العائلات في سن قانون من شأنهِ الاجتماع على وجه ما ذكر لا يمضي الوقت الطويل حتى نرى ان هذا القانون قد شمل بقية المنازل عملاً بناموس الغيرة وحب التقليد الذي تتسابق ربات العائلات في ميدانه وعسانا لا نعدم من نصراء الادب رجالاً يشمرون عن ساعد الجد ويسعون في اخراج هذا القول من حيز الفكر الى حيز الفعل فيكون لنا الفائدة المقصودة ولهم الفضل الجزيل . جزى الله اهل الهمم خيراً

حبيب بنوت

سؤال

حضرة منشئ الراوي الاغر .

ارجو من ادبك ان تفسح في صفحات مجلتك الغراء مجالاً لسؤال اودّ طرحهُ على الادباء ومحبي المساجلة وهو :

« ماذا يقول فيلسوف من فلاسفة الايام السالفة او بعث من رمسهِ فأتى ورأى الهيأة الاجتماعية على ما هي عليهِ الان . وما ترى يكون حكمه عليها »

اغاممنون

كشف الخبايا

بقلم صديقنا الفاضل ابرهيم بن ايوب

(تابع)

قلت لله انت ما ابصرك بالاحوال واطلقك بالاقوال قال ساروي لك ان شاء الله اخبار البلاد وقصص العباد ونكد المتزوجين وكند المتفرنجين ولك مني كل يوم خبر جديد مويد بالبرهان ظاهر للعيان وان كنت تحب الاطلاع فموعدنا غداً عند صخرة الاجتماع قال الراوي فتواعدنا على اللقاء المفروض وهممنا للنهوض

ولما كان الغد خرجت الضحى فاخذت طريق صخرة الاجتماع ولم اصحب معي رفيق امس ولما تجاوزت اسوار المدينة الشرقية مما يلي البحر هبطت شمالاً على محازات خط النار الى شاطئ البحر وتابعت خطواتي الى الشرق وانا اجهل مكان صخرة الاجتماع التي ذكرها الصياد وما زلت على تلك الحال حتى نولاني الكلال ومللت طول الطريق فاخذت طريق الادور القائم على طول خط الشاطئ ولما صرت في اعلى الاكمة نظرت فاذا عن يميني تلال ورُبى وحفر وقد اشكل عليَّ المكان وتنكرت في عيني تلك الكثبان وبينا انا على ذلك رأيت كلباً يعدو اليَّ حتى اذا دنا تبينته صادقاً حطابنا بالامس فوصوص لي واستانس مني ومشى امامي سالكاً الطريق الاقرب فتبعتهُ واستدركت بان الصياد علم بمجيئي فارسل الكلب يدلني على الطريق وما زلت سائراً مدة عشر دقائق والكلب امامي حتى وصلنا الى صخرة على شاطئ البحر فيها بقايا سلم منقور وقواعد اربعة اعمدة من نوع الحجر المرجاني قد نحتها الهواء ولم يبقَ منها الاّ عمود ذهبت قاعدته العليا وباقٍ منهُ نحو الثلاثة امتار والى جانب قواعد العمد جدار قديم مركز على الصخرة فيوءخذ من هذا الاثر انهُ كان معبداً في الازمنة الغابرة

ولما وصلنا رأيت الصياد جالساً على الصخرة معتمداً ظهره على ذلك العمود والى جانبهِ بندقيتهُ فلما رآني هش في وجهي وحياني ثم جلسنا فقال اني اراك تعباً من مشاق الطريق فلنبقَ هنا ريثما نستريح وبعد ذلك نذهب الى البيت الذي تعهدهُ قلت الامر اليك ولكن

حبذا لو كان الكلب مضى بي الى البيت توًا قال ان الطريق من هنا اقرب من سواها فضلاً عن اني في انتظار حضور الدلفين الذي ارسلتهُ امس ولم يعد الى الان قلت والى اين قال الى مربوط قلت وما يفعل في مربوط قال نبئت ان امرًا حصل هناك فارسلت استقصيه قلت ولماذا لم ترسل النسر فياتيك بالاخبار فانهُ اسرع من الدلفين قال بل ارسلتهُ بالخلد ليلاً فوضعهُ هناك وعاد لاني اخشى عليهِ ان يرميهِ العربان بالرصاص لانهم لا يفارقون بنادقهم ولا تمرُّ بهم سانحة الاَّ ويرمونها حتى انهم يصيدون الذئب والثعلب والنمس قلت وما فائدتهم منها قال هم شرهون في اكل لحومها واحتذاء جلودها حتى انهم ياكلون الحدأة والصقر والنورس واللقلاق والغراب ولا يبقون على شيء

قلت وقد ارسلت النملة امس وامرت بتركها على شجرة امام كنيسة الافرنج بالاسكندرية فما فعل الله بها قال ان النملة لا تعود الاَّ قبيل الظهر بعد ارفضاض الناس المجتمعين امام باب الكنيسة وانقطاع الداخلين والخارجين اليها لمقاصد فاسدة تحت علة القيام بالفروض الدينية . وبينما نحن في هذا الحديث اذ رأينا اضطرابًا في البحر في بركة بين صخرتين والزبد يطفو على وجه الماء ثم سمعنا صفيرًا ورأينا الماء يتصاعد في الجو فقال الصياد انظر قد حضر الدلفين وعمد الى حيث الاضطراب وحسر عن ساقيه وخاض في الماء الى الركبة ورأيتهُ انحنى قليلاً واخذ في يسراه شيئًا اسود كأنهُ راس العجل ثم عاد وبيده خنجر ضمن غمد مفضض وقبل وصولهِ استل الخنجر من غمده وبصر بهِ قليلاً ثم اعاده ولما دنا مني قال ان شئت فلنذهب فتبينت في وجهه شارة الاكتئاب وكان قد عظم في عيني فاحجمت عن استطلاعه الخبر الطارئ فقمت وسرنا والكلب بين ايدينا حتى اتينا البيت ولما دنونا من جداره رأينا الثعلب خارجًا من جحر بجوار الجدار فابدى لهُ الصياد اشارة فعدا الى جهة الجنوب ثم فتح الصياد باب البيت كالعادة ودخل وقال هلمَّ فادخل فلم اتوقف ان ولجت وراءهُ ونظرت فاذا سرير من جريد في زاوية البيت عليهِ جلود شياه بصوفها وفوقهُ عباءة من صوف والى امام السرير رفرف من خشب عليهِ بعض قنانٍ مرصوفة وتحت الرفرف صندوق متوسط الحجم عليهِ صحن فيهِ كوز الماء والى جانب الصندوق كرسي منسوج من البردي وفي الزاوية بندقية كبيرة العيار والى يمين السرير طاولة عليها بعض ارغفة وصينية عليها ركوة للقهوة وعلبتان اظنها للسكر والبن وتحت الطاولة ثلاثة مواعين مغطاة لا اعلم ما فيها

ولما صرت داخل البيت قال الصياد ان منزلي حقير في اعين الذين لم يألفوا الاقتصار عليهِ على اني اجده فوق اللازم لما هو ضروري للحياة فالتمس اليك ان تجلس على هذه الكرسي وقدم لي الكرسي الانف ذكرها فجلست وجلس على سريره وقلت لهُ قد حببت اليَّ يا سيدي هذه العيشة البسيطة ووددت لو كنت قادرًا ان اعيش نظيرك

قال انتم معاشر الحضر قائمون بما هو انزع لمعاناة الاتعاب واحتمال الاوصاب لسد ما تفترضهُ عليكم داعيات المعدات الكمالية ولا ارى لزومًا لها الا مجارات تابعي هذه العادات والتوسع في دائرة الضروريات حتى تجاوزوا بها حد الكمالات فضلاً عن الضروريات وهذا بحث سندخلهُ ان شاء الله في عرض ابحاثنا العمومية واما الان فلنأخذ في الحديث مبتدئين في الاصل الى ان ننتهي الى الفروع قلت لمثل ذلك حضرت قال اعلم اني نشأت بلا والدٍ فربتني الايام وتمكنت من احتمال عاديات الفقر ولما بلغت الشباب سلكت في عيشتي على طريق ما تدفعني اليهِ اميالي بدون ان يكون لي مرشد يقوّم من عوجي ويحط من شوط غلوي في بلوغ مقاصدي فصرفت زهرة شبابي في طلب ملذاتي بقدر ما تبيح لي الفرص والقوانين المدنية وكنت ماجنًا محبوبًا ولذلك كثرت اصحابي فيما توهمت وازداد عدد اصدقائي ممن هم على شاكلتي فكنا نحيي الليل بالسمر والطواف من حانة الى حانة لا تتقلص شفاهنا عن ابتسام ولا نعرف الحلال من الحرام ودمنا على هذه الحياة الزاهرة بالمعاقرة والمقامرة حتى صحوت الى نفسي وعدلت عن هوسي ورأيت اني خرجت عن سنة ما يفترضهُ عليَّ الوجود واخذت في ان ارى الواجب عليَّ ومن نكد الطالع قد علقت بكرًا من عشيرتي فحبب اليَّ الامتزاج ان ابني بها على سنة الزواج فتقدمت بطلبها الى ذويها فلم يكُ الاَّ ان ملكونيها وصرفت واياها سبع سنين لا انكر منها ما يشين ولا يبدو ما يخرج بي عن اليقين وكان لي صاحب اذخرتهُ في صبائي واستخلصتهُ من عشرائي. وما اكمل حتى دخل الثعلب وفي فيهِ رقعة مطواة فتناولها الصياد ونشرها وبينما هو يتلوها تبسم باحتقار وطواها وعمد الى الصندوق ففتحهُ واخرج منهُ صندوقة صغيرة من الابنوس الاسود ففتحها واخرج رزمة ورق ضم اليها تلك الرقعة واعادها الى الصندوق ثم قفلهُ ورجع فاخذ مجلسهُ واومأ الى الثعلب فدنا منهُ فمسح على راسه وقال جوزيت خيرًا يا ابا الحصين فلقد حقنت دمًا وان تكن ارتكبت اثمًا فجزاك الله خيرًا عن اعتنائك فاذهب في ارتياد عشائك فسك الثعلب من السرور اذنيهِ وذهب في طريق لا يهتدي فيها عليهِ

(البقية تأتي)

اخبار

اختراعات

نعلن بملء المسرة ان الشرق قد افاق والحمد لله من غفلتهِ وعلم ما للاختراع من الاهمية وانهُ السلّم التي يرتقى بها الى المجد والشهرة فقد جاءنا من اخبار بيروت (سوريا) ان حضرة اللبيب الفطن ميخائيل افندي فرح قد اخترع آلات من نوع التليفون والفونوغراف وغيرها على غير الصفة التي وضعها الافرنج وهي اكثر اتقانًا وفائدة وسنأتي على بيان هذه الاختراعات المفيدة وتفصيلها في العدد الآتي

ولا بدع اذا سار الشرقي العربي على جُدَّة اجدادهِ فالعرب اوّل من بدأ بالاختراعات العلمية والصناعية ولنا على ذلك الف برهان ودليل فنحن نرجو ان نرى شباننا الاذكياء منصرفين الى بذل الهمة في ذلك السبيل كما اننا نرجو من رجالنا الاغنياء ان يسهلوا بدينارهم بلوغ الامل وتحقيق الامنية والله محقق الرجاء

رسالة

ارسلت الينا احدى السيدات الفاضلات برسالة مطولة ضمنتها نصحًا وارشادًا لبنات جنسها اللطيف وكلها حكم وآداب باهرة فحال ضيق المقام عن نشرها فموعدنا بها العدد التالي ان شاء الله . ونحن نغتنم هذه الفرصة للثناء على حضرة السيدة لاقدامها وهي في زهرة الشباب وغضاضة الصباء على

فتح مثل هذا الباب ونتمنى ان يقتفي اثرها سائر السيدات اللواتي اباح لهنَّ العلم اطلاق عنان القلم فان لافكار المرأة واقوالها تأثيرًا في المجتمع الانساني وعلى الاخص في الكلام عن بعضهنَّ فصاحب البيت ادرى بالذي فيهِ

ترديد الاسف

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكرهُ لكل طلوع شمسِ

وردتنا من بيروت مجموعة المراثي مما نشرتهُ الجرائد ونسقتهُ اقلام الكتباء وجادت بهِ قرائح العلماء والشعراء بين نظم ونثر في تأبين "فرح دوحة الادب وسلبل بيت المكرمة والحسب فقيد الوطن المرحوم المأسوف عليهِ الشيخ خليل ابن العلاَّمة الطيب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي الشهير تغمدهما الله برحمتهِ ورضوانهِ" عني بجمعها وطبعها جناب صديقنا الفاضل الطبيب النطاسي رفعتلو بشاره افندي زازل فاعادت الحزن الشديد كما بدا

فنحن نشكر صنيع حضرة طبيبنا ونسأل الله ان يقيه بوائق الايام وان يستر الاسرة اليازجية بجناح ستره فلا يريها بعد ما رأت مكروهًا بمن الله وكرمهِ

شكر وامتنان

رحبت جرائدنا الغراء على اختلاف نزعتها ولغتها بعودة الراوي ووصفتهُ باوصاف هي اولى بها من سواها وتمنت لهُ التوفيق والفلاح فنحن لذلك ننشر راية الشكر لها والثناء عليها ونتمنى لها ما تمنتهُ لمجلتنا سائلين الله ان يسددنا واياها في السبيل القويم

الشهامة والحب

(تابع)

مشتغلة بكلابها و ببغائها فلما فرغت من انزالها من العربة وادخالها القصر التفتت الى اصدقائها فسلمت وحمدت . وعاد الجميع الى داخل الدار بين تاهّل وترحيب وثناء وشكر وشكوى اشواق وحمد تلاق حتى بلغوا قاعة الاستقبال فلما استقر بهم فيها الجلوس قالت مدام ديزولير

— الحمد لله يا فيليس على اجتماعي بكِ وانتِ على ما انتِ عليهِ من البهاء والجمال والرزانة والكمال فستكونين رفيقتي وعشيرتي مدة اقامتي بينكم وتريني ما بمقاطعتكم من الغرائب والبدائع التي تعجبين بها ولكنني لا ارى الدليل الذي عرض علينا خدمته فيما مضى فاين هو . فاجابت المركيزة ام فيليس

— ان الكونت ريموند دي بورنجه فارق يا سيدتي القصر من يوم جحدنا مذهب البروتستان لنعتنق الكثلكة وليس يصعب ان نجد له بديلاً يكون لك مرشدًا ودليلاً فان اولادي سياتون لقضاء فصل الصيف عندنا وهم صيادون ماهرون طالما جابوا هذه الاراضي فعرفوا سهولها وجبالها ومن وجه اخر فان فيليس صيادة حاذقة جديرة بان تكون خليفة لديانا (الهة الصيد) فقال المرشال فيفون

— بل هي ديانا بنفسها . وعند ذلك دخل المركيز دي لاشارس صاحب القصر ورب البيت فوقف له الجميع اكرامًا واحترامًا وحيوه بالسلام فتقدم نحوهم بقدم المضطرب وسلم على ضيوفه واعتذر اليهم عما يظهر عليهِ من اشتغال البال وانشغال الخاطر بالاخبار التي بلغت اليهِ فقال — جاءني من الحاكم رسول ينقل اليَّ اخبارًا لا تسرُّ قلوب اصدقاء الملك ولا تفرح اصحاب الدين فقال المرشال — وما هي يا سيدي المركيز

— لا اكتمكم الامر فاعلموا ان البروتستان في هياج وقد اقاموا في هذه المقاطعة اجتماعات لا يُرضى بها فلا بد واأسفاه من حرب اهلية تراق فيها دماء بني الوطن على شفار مرهفات تخرج من معاملهم . فصاح المرشال

ـــ لا تخف فسيخذلون وينكسرون فان جنود الملك باسلة وجيوشهُ عديدة

ـــ لا يعود ذلك بنتيجة تحمد . وارى ان الرفق وحسن المعاملة انفع للوطن واصلح في مثل هذه الاحوال

ـــ اصبت وانا من رأيك ولكن عظمة الملك يرى غير ما نراه فقد صمم ايده الله على تشتيت شمل الكفرة وتبديد جمعهم وتخريب معابدهم ومنع اجتماعاتهم وما اراه في ذلك الأ تابعاً نصح الجزويت (طغمة من اهل الكهنوت تعرف باليسوعيين) الذين لهم لدى جلالتهِ كلمة نافذة بما تسلط على قلبه من عشق مدام مينتنون والهيام بها هياماً ملكها معهُ ازمة الاحكام وهي من حزب اليسوعيين كثيرة البغض للبروتستان وقد اقسمت ان تضطهدهم الى ان ينسى العالم ان اباها كان منهم . فاجاب المركيز

ـــ ولي قصر على مسافة من ههنا فقد بلغني اليوم انهُ صار مجمعاً للبروتستان يقيمون فيهِ الصلاة والاحتفال وقد مكنهم منهُ حارس وضعته فيهِ هو من خدمة العائلة الاقدمين رفض مجد مذهبه الذي يسميه مذهب الاصلاح فتراه يسهل لمن يدعوهم باخوته الولوج اليهِ ليقيموا فيهِ سرًا ما لا يقدرون على الاحتفال بهِ جهرًا

ـــ احذر يا مركيز فقد يخشى ان تكون عاقبته وخيمة عليك ففي بلاط الملك قوم لا يغضون عن مثل ذلك طرفاً

ـــ سانظر في ذلك من الغد ولكن اسمعوا تتمة ما حدثني بهِ رسول الحاكم . قال ان رؤساء المذهب معروفون باسمائهم . واماكنهم التي اختباؤا فيها عن العيون لا يجهلها احد من اهل الدولة فسيداهمون على غفلة ويؤخذون الى غرينوبل حيث تقام عليهم الحجة وترفع الدعوى امام البرلمان . قال هذا ونظر الى فيليس نظرة خفية تتضمن الف معنى

ـــ فقالت المركيزة ربِّ في اي زمن نحن وما هذه الاحوال . . .

فقاطعتها مدام دبزولير قائلة ـــ نحن ياسيدتي المركيزة في ابهى عصر من التاريخ تحت لواء لويس الكبير الملك الذي لم يفته فخر ولا مجد وحولنا من رجال العلم والفضل والذكاء قوم تفاخر بهم الارضُ السماء

فقال الدوق دي فيفون بخفة وابتسام ـــ ومن السيدات من لا يقنعهنَّ الجمال ولا يرضيهنَّ الحسن حتى طمعن بالعلم والجاه ورغبن بالفخر والسؤدد

فاجابت مدام ديزولير ـــ لست اجهل يا حضرة الدوق انك لا تدع فرصة تفوتك

لاظهار لطفك وفضلك ولكن ثناءك لم يصادف اهلاً له فمن اكون بين اهل العلم واصحاب المعرفة والادب فما انا الاّ زهرة ذابلة مجهولة على ضفة ساقية اميل مع الهواء وانحني كما يريد النسيم فلا يسال عني احد ولا يحفظ المستقبل لي ذكرًا

– بل يخلّد لكِ التاريخ اسمًا لا يمحى وذكرًا لا غنى عن ان يشكر

فقالت المركيزة – نعم وابنتي تسير الى الشهرة على جناح فضلك فهي فرحة بما تنازلتِ اليهِ من اهداء اشعاركِ اليها واذا كانت مقصرة في فرض الثناء والشكر فلأن عواطفها مشتغلة بالفرح برؤياكِ

فكأن تلك الكلمات وضعت حدًّا لافكار فيليس فاصغت الى اقوال الحاضرين وقالت – اجل يا مولاتي انني اشكرك شكرًا دائمًا على ما لا استأهله من ذلك الشرف العظيم

فصوبت مدام ديزولير اليها لحظًا صبغ وجهها احمرارًا . ثم قام الجميع فخرجوا من القاعة واوصلوا الضيوف الى غرفهم المعدة لهم فتاخرت الشاعرة عنهم واخذت بيد فيليس وقالت لها بلطفٍ وحنوٍّ

– اعلميني يا بنيتي العزيزة بما في نفسك من الكدر وبفؤادكِ من الكآبة ولا تحاولي اخفاء ذلك عني فهو ظاهر على مُحياك ظهور الشمس في رابعة النهار

– انا بالواقع مريضة يا مولاتي واشكرك على انعطافك نحوي واهتمامك بي شكرًا دائمًا ولكن ذلك عرض زائل ان شاء الله فلا تنزعجي له

وما اتمت فيليس كلامها حتى علا من الخارج نباح كلاب فاندفعت مدام ديزولير الى حيث العواء واوشكت ان يغمى عليها لما رات أدونيس وبيرام كلبيها العزيزين ملطخين بدمائهما يتقلبان على الحضيض ويعويان من الالم . وسبب ذلك ان بومبه كلب البيت الصياد المطارد الماهر لما رأى تعدّي تلك الكلاب الصغيرة على حقوقه بدخولها البيت اخذهُ الغيظ والحنق فهجم عليها هجوم الذئب الكاسر واخذ يعضها حتى ادماها فاثر ذلك المنظر في الشاعرة تأثيرًا شديدًا حتى انها لولا الخجل اوشكت ان تبكي غمًا والمًا لجراح (احبتها) ولكنها تجلدت وطلبت للجرحى دواء فضمدوا جراحها وصبوا عليها زيتًا ووضعوا بلسمًا يعجل الشفاء . اما المرشال فيفون فكان ينظر الى بيرام ملقي على السرير ملتفًا بالرباط ويبسم له تبسم المتزهل

وما رأت مدام ديزولير سبيلاً للراحة والسكينة حتى افاقت انكلاب وفتحت اعينها ثم جلسوا لتناول الطعام وكلهم منشغل البال بموضوع مختلف . ولما انتهوا من الاكل دخلوا القاعة الكبيرة اما فيليس فانها تخلفت عنهم وصعدت الى غرفتها فخلت بافكارها وافسحت لتيار هواجسها مجالاً واسعاً .

وكان للغرفة شرفة ترى منها المناظر البديعة التي تلهي الفكر وتذهب الكدر وقد زينتها فيليس بنبات مزهر ورياحين عطرة يفوح عرفها فيعطر بعبيره الارجاء . وفي الغرفة نقوش مزخرفة وصور بعض رجال العائلة وكتب ادبية واعمال يد تظهر للناظر موضوع اشتغال الفتاة وملاهيها . غير ان من زار تلك الغرفة يقف باهتاً عند ما يرى فوق السرير زوج طبنجات وسيف صغير معلقين عند رأس الفتاة ويتسأل اذا كانت تحفظها هناك تذكاراً لبعض ابطال العائلة . ولكن الامر في غير ذلك فان فيليس كانت تقضي بعض اوقاتها في التمرّن على اطلاق البنادق وتجريد السيوف . ولما ولجت فيليس تلك الغرفة اوصدت الباب وانطرحت راكعة تصلي الى الله وتبتهل قائلة : ربِّ ارشدني بحكمتك الى سواء السبيل وامنحني الهداية فيما افعل فلا بدّ لي من تخليصه وسأُخلصه . ولكن باية وسيلة وكيف امد اليه يد المعونة وانتشله من مخالب الاعداء الراصدين . ربِّ أأُسيء في مقابلته ام افعل خيراً بحجب الدماء ومنع وقوع ذلك المصاب ان قلبي لا يحتمل العذاب فرفقاً بضعفي . نعم لست اجهل انهُ لا يجوز لي ان احبه محبة القرين العزيز ولكنه اخي وصديقي ورفيق صبائي فكيف لا اوده وكيف لا اسعى في صلاحه وخيره .

وما بلغت من صلاتها هذا الحدّ حتى شعرت من نفسها بجاذب الى النافذة فقامت اليها ونظرت الى الخلاء الاخضر وعليه من اشعة الشمس الصفراء المائلة الى الغروب بهاء يلذّ للعين وتنبسط اليهِ النفوس . والناس بين رائح وغادٍ الى اتمام اشغالهم وكل شيء بحركة وانتعاش سوى بيت صغير منفرد محزن المنظر فنظرت فيليس اليهِ بعين قلبها لا بعين رأسها فرأت بابهُ قد فتح وخرج منهُ كلب صيد كبير وعلى اثره شيخ عجوز ثم شاب حسن القوام حاد النظر فلما صار خارجاً رفع ببصره الى القصر ناظراً الى غرفة فيليس فلم تتمالك المسكينة ان أومأت اليهِ بالسلام محركة في ذلك الهواء منديلاً طالما مسحت باطرافهِ دموع الوجد والاسى . وحينئذٍ طُرق

الباب ففتحت وادخلت راهبًا وقورًا يتلألاء الطهر على اساريره ويفيض التقى من ضميره

الفصل الرابع — الاب سيلستين

ولما دخل الكاهن غرفة الفتاة قدمت له كرسيًا وجلست بازائه صامتة منتظرةً منهُ كلامًا . فقال بعد هنيهةٍ :

— جئتك يا بنيَّة لعلمي بما في نفسك من الحزن وبفؤادك من الالم وخال لي ان لا بدَّ من ان تكوني في حاجة اليَّ وما كذبني ظني فانكِ في الحالة التي تصوَّرتك فيها

— نعم يا ابي وقد كنت قبل دخولك ابتهل الى الله تعالى ان يرشدني وينير عقلي لاعرف كيف انصرف ولقد استجاب صلاتي اذ ارسلك اليَّ

— اي المٍ في نفسك واية هفوةٍ تعذبك . تكلمي ولا تخشي شيئًا فان رحمة الله لا حدَّ لها

— لا اخاف يا سيدي شيئًا اذ لست مذنبة وانما انا في حاجة الى نصيحة منك ومشورة اعمل بها فقل لي اولاً أعلمت بالاخبار التي وردت الى ابي فيما يختص بالبروتستان .

— نعم وقد قرأت اوامر الملك بنفسي .

— لقد اتخذت الطرق والوسائل وسيحاطون ويؤخذون ويقادون الى العذاب والعقاب

— لست والأسفاه بجاهلٍ ذلك . وانني اسكب لقسوة الملك وصرامته واتباعهِ سبيل القتل وسفك الدماء دموع الحسرة والحزن ولكن الملك اظلهُ الله بعنايتهِ يتناسى ان عاقبة الظلم وخيمة وان الاضطهاد يورث الاحقاد والبغضاء ويثير الضغائن والشحناء فلقد كان الاولى به ان يرفق بالنفوس ويحجب الدماء فيستميل برحمتهِ القلوب ويجذب بجوده وكرمه الباب الرجال على ان لي عزاءً وسلوةً يخففان عني بعض ما اقاسيهِ وهو ان عدد المهتدين يتزايد يومًا فيومًا

فاجابته فيليس وهي لم تسمع من كل ما قالهُ حرفًا

— رحماك يا ابي انني لم اره من يوم افترقنا فلقد غادرت العهود ونقضت الوعود وخالفت هوى في النفس منذ الصباء وعصيت غرامًا في القلب .كنت ارجو بهِ الهناء طاعة لارادة من لا يعصى وخضوعًا لتقدير العليَّ العظيم واحتملت كل ذلك غير ناقمة ولا متضجرة ولكنني لا احتمل ان يموت دون ان اسعى بخلاصه وما كان الله ليرضى بهِ فيجب ان يدري بالشرك المنصوب ويعلم بالمخاطر التي تحيط بهِ وتتهدَّده فيجتنب الخطر وينجو من الهلاك

فاطرق الكاهن ساعة ثم رفع رأسه وقال

— الامر يابنية مشكل يصعب حلهُ فانا اذا استسلمنا الى الرأفة والحنوّ ولبينا داعي الود والولا نعصى الملك ونخالف اوامره وما ارادة الملك الاَّ مقدسة

— اواه يا ابي او تحسبون تخليص الاشقياء الساعين بقدمهم الى الهلاك عصياناً لارادة الملك ومخالفة لاوامره ولكنا لو فرّقنا البروتستان بانذارٍ سلميّ فحجبنا الدماء وحفظنا الارواح كان لنا بذلك عند الله اجرٌ عظيم

— لا حرج عليك في كتابة كلمة الى الكونت ريموند تنذرينه بها بالخطر المحيق بهِ

— اذا كتبت وفقد الكتاب فماذا يجري على ابي حيث اكون قد عرضته والعائلة باجمعها للسخط والوبال

— عليكِ اذن برسول امين يحمل اليهِ الانذار شفاهًا

— لا يفيد الرسول ولا ينفع الانذار فريموند لا يصدق في الدنيا سواي ولذلك يا ابي كنت انتظر مشورتك واطلب منك النصح فان ريموند لا محالة هالك اذا لم اره واكلمهُ فاجاب الكاهن بصوت الهاجس المفكر

— احذري يا فيليس مكائد المجرب فانها عديدة لا تحصر ولا تحصى وربما تكون رغبتك في تخليص من لا يزال بقلبك اثر لحبه واحدة منها فاحذري

— استغفر الله ان يكون لي في تخليصهِ غاية او ارب وانني اقسم لك الايمان المعظمة بالله وبكل ما تميل اليهِ نفسي ان ابتعد عن ريموند دي بيرنجه واتجنبهُ طالما هو مصرٌّ على غيهِ وعناده وان لا ارى فيهِ الا صديقًا فقط ولكن صديقًا ابكيهِ بكاءً مرًّا واتوجع لبعده ونواه غير طالبة قربه ولقاه

— ان لي بشجاعتك وثبات جنانكِ ثقة وطيدة فسيري على بركات الله وقابليه واجهدي بارجاعه عن غيه وضلاله . ولكن كيف تذهبين افلا تخشين السنة الوشاة

— هوذا ما اعدهُ : انت ترى من ههنا البيت الذي يأهله مع نوجان مدبره ومرشده فعندما يسدل الليل ستوره اخرج من ههنا مع الكلب حارسي الامين واسير الى ذلك البيت فاخلو بالكونت واحادثه واجهد في اقناعه ثم احدث ابي بما سيكون

— افعلي ما تشائين ولكن صلي قبل مسيرك الى الله كي يبعد عنك كل تجربة ووسواس ويصحب كلماتك بقوة تغلب العقول وتخلب الالباب واذهبي الى القتال بشجاعة قلب

وثبات عزم لا يغلبان واحذري ان تخدعك الوعود او يستميلك الهوى فاثبتي على ما انت عليهِ يبارك الله اعمالك

وبعد نصائح وارشادات عديدة خرج الاب سيلستين تاركًا فيليس على احر من النار . فان الفتاة لما رأت خلوَّ المكان وانفردت بافكارها رجعت بالتذكار الى الايام الاول تبحث عن سبب وعلة تعلقٍ تطلب حلهُ وهوى يجب ان تحاربه وتكبح جماحه ثم فكرت في ما هي مقدمة عليهِ فهالها الامر وكادت تثني عزمها وترجع عن قصدها ولكن شهامتها عاودتها فصورت لها اليتيم الذي وضعتهُ اجداده بين ايدي ذويها والفارس الجميل الذي تهواه والرجل العظيم الذي كانت معدَّة لان تكون امرأتهُ فخانتها بهِ صروف الايام وقطعت آمالها وهدمت قصور رجائها فكبر عليها موته وقالت في نفسها الموت ولا اهماله

الفصل الخامس — الكونت دي لاشارس

لندع الان فيليس مهتمة باعداد شؤون مقابلتها وتهيئة نفسها لاقناع ريموند بترك مذهب الاصلاح واعتناق الكثلكة فرارًا من الموت وفوزًا بالحياة وهي تأمل ان تجذبهُ اليهِ بعذوبة الفاظها وترجو ان لا تعود عنهُ خائبة ونلم بشيء من حديث تلك العائلة الشهيرة التي خرجت منها فارسة مثل فيليس لا يزال اسمها شرفًا لاسرتها وذكرها فخرًا لبقايا اجدادها فنقول انهُ لما انتشبت في فرنسا الحرب الاهلية الدينية انحاز شرفاء المقاطعة الى المذهب البروتستنتي وتمسكوا بهِ تمسكًا يقرب من الترفض واجتمع الشرفاء منهم والنبلاء حول لواء القائمين باصلاح المذاهب كما يدعون . وكان ممن امتازوا بالحمية والغيرة في الدفاع عن الاعتقادات المركيز رينه دي لاشارس حاكم المقاطعة ومستشار الملك وكان صاحب القاب وامتيازات كثيرة فارتقى الى رئاسة المذهب واصبح مشيرًا للبروتستان وصديقًا للملك هنريكوس الرابع الذي كتب اليهِ عدة كتب ودية تظهر احترامهُ واعتباره لهُ ثم مات المركيز عن اولادٍ كثيرين منهم المركيز دي لاشارس الذي مر ذكره وهو ابو فيليس الذي ضمَّ العائلة كلها تحت سقف واحد . وكان بين اصحاب المركيز ورفقائهِ الاخصاء سيدٌ يدعى بالكونت بيرنجه دي موج لم يكن كصديقه سعيدًا حسن الطالع ولكنهُ كان شجاعًا مقدامًا فاورث ابنه ما كان فيه من علوّ الهمة والتشبث في المذهب البروتستنتي وتعلقه بعائلة دي

لاشارس . اما املاك وثروة الكونت بيرنجه فحجزتها الدولة على اثر ثورة كان من القائمين بامرها وكان قد اقترن بفتاة من احدى عائلات فرنسا النبيلة ولكنها كانت فقيرة لا ثروة لها ولا مال . ورُزق منها ولدًا ماتت على اثر ولادته وسماه ريموند . وعلل نفسهُ بالسلوة في تربية ولده الا ان القدر المتاح لم يفسح في اجلهِ بعد امرأتهِ فلم يعش بعد موتها الاَّ مقدار ما لجَّ بهِ داعي الشوق اليها ففاجأتهُ المنية وذهبت بهِ عن وحيدٍ رضيع لا سند لهُ ولا عضد سوى المركيز دي لاشارس صديق ابيهِ الذي اوصاه بهِ قبل مماتهِ ووضعهُ بين يديه وكان المركيز قد وعد بتربية الولد وتدبيرهِ في امور المعيشة وعضده كل ايام حياتهِ فاخذهُ بعد موت ابيهِ الى قصره غير مفرق بين ذلك اليتيم والعائلة المحبوبة التي حبتهُ اياها العناية الموجدة . وكان المركيز قاصدًا ان يزوجهُ بابنتهِ فيليس ولم يكتم عنهما رغبتهُ فتولد الحب في قلبيهما وتأصل حتى صار الواحد منهما لا يقوى على الحياة بعيدًا عن رفيقه

والحب اول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلاً شاغلا

واقاما على تلك الحالة يبنيان للمستقبل قصور آمال لم تطل مدتها ويشيدان مباني رجاء هدمتها ايدي الحوادث التي لم تكن لتخطر لهما على بالٍ .

والليالي كما عهدت حبالى كل يوم يلدنَ امرًا جديدا

فاتفق ان القدر ساق الى تلك المقاطعة راهبًا صالحًا اخذتهُ غيرة المذهب وحركتهُ حاسة الاشفاق لما كان يراه من الاضطهاد اللاحق بالبروتستان فهبَّ من مكانه باذن رئيسه وسار يقطع البلاد والقرى مستدعيًا الى الكثلكة من عصى امر الملك واعتصم بحبال المذهب البروتستنتي فجاب البلاد مبشرًا واعظًا غير مبالٍ بالمصاعب والمتاعب لا يسأل الاَّ نجاح مسعاه لتخليص الاجسام من عقاب الملك الصارم والانفس من عذاب اليوم الاخير . وما زال كذلك وهو منشرح الصدر من ثمرة اتعابهِ فرح بما كان يلقاه من نجاح مساعيهِ حتى صبحَّ ذات يوم قصر مونتمور وكان اكبر رجائهِ واعظم مشتهاه ان يعود بساكنيه الى جحد مذهب الاصلاح فدخلهُ واطلق هناك عنان فصاحته وبسط لسانه بالوعظ والانذار فاثمرت اتعابهُ وكان ذلك اليوم لديه يومًا عظيماً

ولكن سروره لم يكن صافيًا من الكدر لما قاساه في منازلة نوجان مربي الصغار وواعظ البروتستان فانهُ قاومهُ بكل قواه فتمكن بذلك من المحافظة على ريموند الذي

كان قد بث في نفسه الشابة تعصبًا لمذهب الاصلاح يكلّ عن وصفه اللسان فلم يستملهُ الى جحده وعد ولا وعيد حتى ان حبهُ لفيليس وتعلقهُ بعائلتها العزيزة وخسارة مستقبلهُ لم يكونوا ليميلوا بهِ عن مذهبهِ الذي ماتت عليهِ آباؤه . ففارق القصر في اليوم الذي اتبعت فيهِ عائلة دي لاشارس مذهب الكاثوليك واقسم ان لا تطئ لهُ ذلك البيت من بعدها رجل واتبع نوجان مربيهِ الى بيت صغير لهُ في قرية غير بعيدة من هناك

فشق ذلك على المركيز دي لاشارس وبذل الجهد البعيد في سبيل ارجاع ريموند فلم يتمّ لهُ ذلك ولكنهُ لم يرضَ بان يترك الشاب الذي رباه وهذبه وكان لهُ ابًا محبًا في هاوية اليأس والشقاء فارسل اليهِ حجج اراضي ادعى الرجل الكريم انها ارث الكونت دي موج ولم يكن شيءٌ من ذلك ولكنها حيلة لارضاء ريموند بقبولها فلولاها لرفض الشاب قبول اقلّ شيء من رجل صار يدعوه بالكافر الجاحد .

ومنذ ذلك الحين اندفع ريموند في طريق الجهاد واصبح احد روساء البروتستان وقوّادهم النافذي الكلمة المقتدرين ولم يكن رأى فيليس الاَّ عن بعد ولكنهُ كان لا يزال يتعشقها ويهيم بحبها وكانت هي ايضًا محافظة على عهد حبهِ قائمة على وعود هواه . فكان الفراق يمذق احشاءهما والبعد يدمي بسيف الصد قلبيهما . اما فيليس فكانت فرائصها ترتعد خوفًا على حياة حبيبها فكانت لذلك تتاثر اخبار الحرب والاضطهاد القائمين ضد البروتستان فرحة كلما علمت بخلاص ريموند من خطر القبض عليهِ

ولم يكن اعداء مذهب الاصلاح قد جاهروا بمقاومة اصحابهِ فكان البروتستان وقتئذٍ يعقدون مجتمعاتهم غير خاشين والحاكم يغض عن ذلك طرفًا غير متعرض لهم وما زالوا على ذلك حتى بلغوا العهد الذي رأيناهم فيهِ في بدء روايتنا حيث صدرت الاوامر المشددة بتفريق شملهم ومعاقبة من يصر منهم على الضلال بالقتل الذريع والموت الشنيع .

وما تقاعدت فيليس عن السعي في خلاص حبيبها من شرّ ما اوقعهُ فيهِ تصلب رايه وتعصبهُ لمذهب آبائهِ فلقد تركناها تعدّ نفسها لمقابلة من تفتديه بحياتها فلنعد الان اليها سائرة على جناح الرجاء والخوف

الفصل السادس — في الطريق

ولما غربت الشمس التفت الفتاة بعباءة وخرجت من القصر دون ان يعلم بها احد والى جانبها كلبها الحارس الامين يسير كأنهُ عالم بما هو مطلوب منهُ من حراستها والمحافظة عليها · وراحت تقطع الطريق والرجاء ملء ضميرها والخوف يفيض من قلبها وكلما فكرت في انها ذاهبة للقاء من تهواه نفسها بعد فراق سنين اربع وهي لا تعلم اذا كان لا يزال مقيماً على حبها او نكث عهود ودها تاخذها الرجفة ويستولي عليها الاضطراب والرعدة · ثم تعود فتتصور الهلاك المحيط بهِ والمخاطر التي تتهدد حياتهُ العزيزة فتقوى على اقتحام ذلك الامر الخطير غير مبالية بما يكون من عاقبته

وما زالت تسير والافكار تقيمها والهواجس تقعدها معدة في نفسها الاحاديث مهيئة من الكلام ما تظن انه يوثر في قلبهِ حتى بلغت منتهى طريق الجبل فهرَّ الكلب فتوقفت فيليس ونظرت فلاح لها في ذلك الظلام شبح وخال لها ان رجلاً من البيت يتبع اثارها فكادت تعود على اعقابها . ولكنها تصبرت لما رأت الشبح يتقدم نحوها والكلب لا يهر ولا ينبح ولم تمضِ على ذلك هنيهة حتى عرفت الاب سيلستين فاطمأَن خاطرها وهدأَ بلبالها وسلمت عليهِ فقال لها

— رأيت يا بنية ان اجتمع بك ثانية لاسمع منك ايضًا انك واثقة من نفسك لا تخشين فيما تفعلين مكائد الخناس الوسواس

— انا واثقة من نفسي لان لي عضد الله ربي فاني متكلة عليهِ

— وهو لا يهملك فالله نعم الوكيل

— انا سائرة عنك الان فلا بد من عودتي سريعًا الى البيت لاكون معهم على العشاء اذ لا اريد ان يدري احد بخروجي فصلِّ من اجلي الى الله كي لا يخنق مسعاي

— كلل الله يا بنية مساعيك بالنجاح وها انا انتظر عودك في هذا المكان اذا شئت ان اكون لك في رجوعك الى البيت رفيقًا

— اشكرك على ذلك شكرًا جزيلاً ولكنني لا ارى من حاجة الى ازعاجك فليس بي خوف والنواحي في امان وكل ساكنيها يعرفونني

— فانا اذن راجع الى القصر فقد زادت ضيوفه بوصول الكونت دالبون اليهِ عقيب انفرادك في الغرفة

وما فاه الراهب باسم الكونت دالبون حتى علا الاحمرار محيا الفتاة وتلجلج لسانها فقالت مضطربةً

— او متحقق انت انهُ هو بعينه

— هكذا سماه والدك حينما عرفهُ بالمركيز دي فينون فهل تعرفينهُ

— اواه يا ابي انهُ آتٍ ليقترن بي

— وكيف علمت ذلك

— علمتهُ من ابي فهو اعلن لي قرب مجيئهِ وغاية سفره الينا

— لا بأس فيهِ يا فيليس وانني ارى ان ذلك حسنٌ

— لعلك نسيت الى اين اسعى واية حاسة بفؤادي تدفعني الى العمل الذي انا فيهِ

فاجاب الاب سيباستين برزانة وصرامة فقال :

— بل اعلم جيدًا انك ذاهبة الى لقاء صديق قديم لتخلصي حياتهُ ثم تسعى في خلاص نفسه ولا يجوز ان يكون لك غير هذه الغاية فتبصري

فاحنت فيليس رأسها وسارت في سبيلها دون ان تفوه ببنت شفة

وكانت كلما اوغلت في طريقها زاد بها الاضطراب والقلق وداخلها الخوف والوجل وعاودها الفكر بالخبر الاخير من زيارة الكونت دالبون فصوَّر لها القال والقيل الذين سيحيطان بها فيطير صوابها وتقع في الحيرة والارتباك . فان الكونت دالبون كان من اعظم اسياد المقاطعة ورجالها النبلاء مشهورًا بالثروة والغنى معروفًا بالشجاعة والاقدام جميل الطلعة حسن القوام لطيفًا محببًا حميد الخصال جميل الاوصاف فلم يكن من وجهٍ للامتناع ولا من حيلة لرفض طلبه وصده

وبعد افكار وهواجس قطعت بها معظم الطريق ولم تدرِ قالت الفتاة في نفسها — ما قدره الله يكون . ومع ذلك فانني ساعترف امام عائلتي بسر فؤادي فتعلم انني لا احب ولن احب الاَّ من ملكتهُ قلبي يوم كان غرًا لا يعرف من الدنيا شيئًا . واذا اضطرت الحاجة الى الاقرار بذلك امام الكونت دالبون نفسه فلا اتاخر عنهُ . ومتى تيقن انني لا ارغب فيه الاَّ مرغومة يرجع عني ولا يحاول ان يقترن بامراة تحب رجلاً سواه

وبينما كانت في تلك الافكار تعقد عزمًا وتنوي نية لم تدرِ الاَّ وهي امام باب البيت الذي ياوي اليهِ حبيب لم تكن لترضى الاَّ بفؤادها مسكنًا لهُ فقرعت بابه دون تردد ففتح

لها الخادم ولما راى امرأة تطلب ان ترى الكونت ريموند دي بيرنجه وقف حائرًا واعاد عليها السوال عما تريد كأنه لم يفهم ما قالته اولاً فاجابت فيليس

— اريد ان ارى في الحال الكونت ريموند دي بيرنجه ..

— الكونت يا سيدتي في غرفة نوجان مربيهِ ولا استطيع ان . . .

— لا تضع الوقت هكذا فادخلني غرفة نوجان

ودخلت وسار الخادم امامها رافعًا يده الى السماء مستغيثًا الى الله بان لا يكون وراء تلك الزيارة شرٌ فانهُ لم تطأه قبلها عتبة ذلك البيت رجل امراة . فلما قاربا الغرفة التي كان الشاب فيها مع معلمه سبق الخادم الى الباب ففتحهُ وقال

— بالباب امرأة مقنعة تطلب ان ترى حضرة الكونت ومع المراة كلب كبير عرفهُ كلب مولاي فلم ينبح عليهِ . اما انا فلم اعلم من هي ولا اعرف ماذا تريد

الفصل السابع — حبيبان

وكان ريموند كعادتهِ بجانب النافذة ونوجان في زاوية الغرفة بالقرب من الموقد والغرفة في الحالة التي وصفناها بها قبل ادخال النور اليها فاسرع الشاب لاستقبال المرأة المقنعة وكانت قد دخلت على اثر كلام الخادم الذي اسرع في انارة الغرفة فلم يعرفها ريموند الاَّ عند ما ازاحت عن محياها النقاب فصاح مضطربًا

— الله اكبر من ارى فيليس . . .

وكأن الدهشة غلبت ايضًا على نوجان فصاح مستغربًا

— مدموازيل دي لاتوردي بن هنا . . .

فتجلدت الفتاة وجمعت اليها كل قواها واجابت بسكينة ورزانة

— نعم يا سيدي العزيز فيليس بنفسها اتية اليك يقودها ودّها القديم وولاؤها الذي لم تنقض لهُ عهدًا ولم تخلف وعدًا

فقدم الشيخ لها كرسيًا وهو يهز رأسهُ اما ريموند فكان واقفًا في مكانهِ لا يقدم رجلاً ولا يؤخر اخرى مرددًا ذكر فيليس وهو لا يشعر بما يقول

وبعد برهة دعا نوجان الخادم فاحضر النور ودنا ريموند من الفتاة فخاطبها هكذا

— فرقتنا ايدي الزمن وناب التنائي عن اللقاء فمرت الايام دون ان نجتمع . والحمد لله على انني اراك بعد الزمن المديد واسمع صوتك وافهم خطابك ولكن ما مجيئك اليَّ في

عزلتي واي شيء جئت تطلبين في وحدتي . . . اهربت يا فيليس خيام اولاد فلسطين لتعودي الى احضان اخوتك

— انا آتية يا ريموند اليك ومن اجلك مخاطرة بفروضي محتقرة واجباتي لاخلصك واحميك

— وماذا يا فيليس واي الاخطار تهددني

— تحف بك مخاطر عظيمة ما كنت لولاها لارتكب الجهالة والوقاحة بمجيئي الى هنا

فقال الكونت والغم يمزق احشاءه

— اشكرك يا سيدتي شكراً جزيلاً ولكنني اودّ تفسير ما تقولين

— لقد صدرت اوامر الملك الصارمة تقضي بعقاب البروتستان وزحفت الجيوش على هذه البلاد لتلقي القبض عليهم وتعاقبهم جزاء عصيانهم واكتشفت الجواسيس على اماكن اجتماعاتهم والعدو بالمرصاد فلقد بيعوا وسوف يسلمون ويعذبون . فابتسم الشاب بحزن واجاب والاكدار ملء نفسهُ

— حسن يا سيدتي ولكن ماذا يهمك ذلك ولماذا تعنيتِ المجيء الى هنا

— تعنيتهِ حبًا بك وبخلاصك فما قادني تحت هذا الغسق الى هذا المنزل المنفرد الاَّ رغبتي في انتشالك مما القيت فيهِ نفسك من التهلكة . فيجب عليك ان تترك ما انت فيهِ من الغرور القاتل او ان ترى لك مخبأ الى ان تهمد نيران الغيرة على الدين او تهاجر الى بلاد لم ينشر فيها لواء الاضطهاد ولم تحظر حرية الاديان . واذا شئت قولاً باجلى بيان فاعلم انني لا اريد ان تموت

فقاطعها نوجان وقال مخاطبًا ريموند

— لا تصغَ يا بنيَّ الى اقوال هذه الموابية التي تريد ان تخدعك وتجتذبك معها الى الضلال والهلاك

فضمت فيليس يديها ووجهت نحو نوجان نظرة استرحام وتضرع وصاحت قائلة :

— ناشدتك الله ان لا تعارضني فيما اريده لهُ من الصلاح اذا كنت لا تريد قتله

فاردف ريموند يخاطب مربيهِ وقال

— لا تخف يا ابي ولا تخشَ امرًا فانت تعلم ان ايماني ثابت ثبوت الصخرة فهي لا تقوى على ان تزحزحه ولا ان تؤثر فيهِ اذ لست اصدقها في شيء ولا اعتقد بها مطلقًا

فاجابت الفتاة على ذلك بتحرق وقالت

— مهلاً يا ريموند ولماذا. ماذا فعلت بك وباي امرٍ خدعتك وفي اي شيء خنت عهدك

— خون وانكار في الحب والدين وتقول ماذا فعلت

— رحماك انما فتحت عيني للنور وقلبي لشعاع الدين الحقيقي . . .

ثم اطرقت بنظرها الى الارض وخفضت صوتها واردفت تقول:

— اما هواك فلم اعدل عنهُ وكلمة حبك فقد نقشتها على الواح قلبي حيث لا يمحوها كرور الايام ولا تعاقب السنين .

— بلغتني اخبارك فلم يفتني مما تصنعينهُ شيء ولقد رأيت اليوم الكونت دالبون وسمعت من فيهِ حكاية آمالهِ . وانا عارف ابن هو الان .. فاعلمي ايتها السيدة الساعية في خلاصي ان الكونت في قصر ابيكِ وبانتظاركِ فلا تطيلي عليهِ الغياب . . . وانا عالم ايضاً انهُ سيكون بعد حين بعلكِ العزيز وانكِ ستكونين حليلته المحبوبة . . . واعرف انهُ اكراماً ليوم الزفاف وتعظيماً لساعة القران سيحتفل بقبض ارواح من كانوا لكِ فيما سلف اخوة فصاروا بجحدك الايمان اعداء لقلبكِ تكرههم نفسكِ . . . وانني ادري ان سيوقع على سد الزواج بدمي الذي سيهرق ظلماً وعدواناً ولكن دون ان ادافع عنهُ فحبذا الموت ان فيهِ الراحة الدائمة . . . آه وا اسفاه لقد اعمى الضلال بصري وختم الغرور على بصيرتي فظننتكِ لما رأيتكِ داخلة آتيةً الى الحبيب الاول والاخ النديم تبردين بالقرب منهُ لظى غيظ اثاره في فؤادك ما يدبرون من زفاف تقشعر منهُ الابدان . ولكن خاب ظني وخانني حدسي فانني ارى ان ما يقودك الى ههنا انما هو حاسة اشفاق لا محل لها . فليس اذن سوى الاشفاق والرأفة وهي ذكرى وداد قديم عفت آثاره ولم يبقَ لديكِ سوى تذكاره . لا تريدين لي الموت ولا ترضين بهلاكي لان تذكر الوداد القديم يانف من لؤم هذا حده ويقف عند خيانة هذا مقدارها . . ومن ذا يدري ومن يعلم اذا كنت بمهارتك وريائك لا تعملين على ابعادي ليخلو لك الجو وتتخلصي من حضوري حذراً من غيرتي لعلمك بانني ما دمت في قيد الحياة وما دام في عروقي من دمي نقطة تجري لا يمكن ان تكوني لاحد من الناس ولو كانت قبة الفلك متن جواده وبانني لا محالة قاتلك قبل ذلك ثم الحق بك نفساً لا تروق لها الحياة من بعدك واشقُّ صدراً حوى قلباً تجاسر بالسوء عليك . آه واحرباه وواحرَّ قلباه . ضاعت الامال . وانقطع الرجاء . وصار الحبيب (البقية تأتي)

بالتليفون

"درن درن — من المنادي — ثعلبة وانت من انت — انا الراوي فما وراءك — فارقتك لدورتي الشهرية وبينما انا في عرض الطريق رأيت اسلاك البرق تهتز وتطن فقلت خبر ووضعت اذني فلم يخلف ظني فقلت في نفسي ان انا ابقيت الخبر الى يوم عودتي فات وقتهُ فرأيت ان انقله اليك بالتليفون (آه لو كان لنا كلمة عربية نعبر عنهُ بها) اما الخبر الذي اضطرب لهُ فوادي فهو ان الالفين وثلثمائة جنيه التي بشرتك بانها توفرت ورجوت ان تصرف على التمثيل العربي لم تتوفر بعد اسباب اقتصادها فقد فهمت من طنين البرق ان الحكومة كتبت بعد ان نقض اتفاقها مع الموسيو مينادية الى "مسيو "آخر في نيس تعرض عليهِ التمثيل في الاوبرا وتعفيهِ من التامين والتجربة ولا بد من ان يجيب طلبها والاَّ كان من المجانين اذ ليس في الامر الاَّ ان يأتي هذا الرجل الذي لم يرَ ربما مصر ولا في المنام فيمد يدهُ ويتناول المال والارباح . . . . ما لنا ولهذا او ليس مثله كثيرًا ام لم تسمع بخبر المدرسة الزراعية — بلى سمعت فما قولك في ذلك — صهٍ لا ترفع صوتك ودع الامر في سرك الان . درن درن"

لقاء

حظينا بلقاء صديقنا الاديب البارع اسكندر افندي طاسو مدير جريدة التقدم ومطبعة القديس جورجيوس الزاهرتين . انسنا بهِ آتيًا من بيروت لبعض اشغال فاستقبلهُ الصحب العديدون مسرورين بروياه فرحين بلقياه . وهو قد استحضر معهُ كتبًا عديدة من نخبة المؤلفات العلمية والادبية والفكاهية مما سنأتي على تفصيلهِ في العدد الاتي وقد ذكرنا اسماء اكثرها على غلاف الراوي فنحن نأهل بالقادم العزيز ونتمنى لهُ النجاح والتوفيق